

ما هي صفات الاستاذ الجيد؟

أ.د. محمد الربيعي

جامعة دبلن

كثير ما يقال عن اساتذة جيدين اشتهروا بحسن طريقة تدريسهم، وكثيرا ما مدح الطلاب بعض اساتذتهم واعتبروهم من افضل التربويين، بالرغم من ان هؤلاء لا يعتبرون من المتفوقين علميا. انصافا للحقيقة نقول ان الطلاب قد يرون في استاذ من مهارات وصفات تروق لهم ما لا يراها خبير تربوي، فمهارات التدريس التي ينحاز اليها الطالب تتعلق بمقدار فهمه للمادة ودرجة تعاون الاستاذ وتعاطفه مع مشاكل الطالب. بالطبع بعض الاساتذة يتمتعون بمهارات تدريسية عالية ويتمكنون من خلق جو من المرح في الصف ورغبة في التعلم الا ان نتائج التدريس المرجوة لا علاقة لها بدرجة الترفيه وانما بدرجة التعلم، وهذه النتيجة تختلف في جوهرها عما نتوقعه من محاضرة جيدة في مؤتمر او اجتماع عام بكونها مثيرة تشد الحاضرين وتبقى في الذاكرة. فالتدريس الجيد يعتمد على قابليات الاستاذ المكتسبة بدرجة اكبر من جاذبيته وفتنته الساحرة. وصفات الاستاذ الجيد لهي اكثر من الصبر والمرونة والتعاطف والاحترام وحل المشكلات وحسن الدعاية والموضوعية، فهي تتضمن القدرة على عرض المادة بصورة واضحة وبتسلسل منطقي، وبجعل المادة سهلة التتبع وذات مغزى واضح، وان تغطي المحاضرة الموضوع بصورة كافية، وان يكون المحاضر بناءا وانتقاديا في عرضه للمادة، وان يشرح الموضوع بخبرة ومعرفة عالية وشاملة وبسرعة وبتركيز كافي، وان يقوم بتوضيح التطبيقات العملية للنظرية، ويظهر حماسة واهتمام عالي بالموضوع، ويولد فضول عند الطلاب في اول المحاضرة للاستمرار في الاستماع.

ومن الاوهام الاخرى هي انه طالما كانت المادة مثيرة للاهتمام كلما كانت كافية لجذب اهتمام الطلاب وانتباههم، فالمحاضرة يمكن ان تكون رائعة، الا انه حتى بالنسبة للطلاب الموهوبين تحتاج المحاضرة ان تكون اكثر من مثيرة للاهتمام فقط بحيث ينبغي ان تقدم معلومات اكثر من تلك التي يمكن تعلمها عن طريق القراءة، ومثلما على المحاضر في مؤتمر ان يحفز الحضور لمعرفة المزيد وذلك بتقديم افكار جديدة تكون مواد لبحوث مستقبلية على الاستاذ الجامعي ان يقدم اسئلة مفتوحة للطلاب تتعلق بالمادة.

ومن الاسئلة المهمة التي يسألها الاستاذ الناجح لنفسه ويحاول الاجابة عنها هي: هل حقق الدرس اهدافه؟ وهل تجاوب الطلبة مع الدرس؟ وهل تحتاج بعض الاجزاء الى مراجعة؟ وهل المادة مناسبة ومتجددة؟ وهل انا راض عن ادائي عموما؟ انا اشك في ان معظم الاساتذة يسألون انفسهم مثل هذه الاسئلة، او انهم ينتهجون نهجا تربويا وتعليميا على ضوء الدراسات الحديثة والاساليب التي توصي بها طرق التعليم والتعلم الحديثة. على سبيل المثال يمكن تقييم الاستاذ الجيد وذلك بقياس تمتعه بالصفات التالية: البدء بالتدريس مباشرة وبطريقة منهجية، ويقدم ابتداء اهمية المادة والمعلومات الدراسية، ويوفر تفسيرات واضحة للمشاكل، ويكسب اهتمام واحترام الطلاب، ويستخدم اساليب التعليم والتعلم الفعالة، ويستخدم امثلة حية ومفيدة وسهلة الفهم، ويضع اسئلة ويجيب عليها للتوضيح، ويشيد باجابات الطلبة، ويتواصل

مع الطلبة على اختلاف مستوياتهم، ولدية حس النكته ويتيح للطلبة بالحديث بحرية، ويتوقف مرات عديدة للتحقق من فهم الطلبة، ويستخدم السلوك غير اللفظي كالايماءات والنظر والاشارة، ويعرض نفسه على الطلبة كإنسان حقيقي، ويركز على المادة، ولا يتيح فرصة للتسرب، وينتقد طريقته التدريسية، ويطلب من الطلاب نقدها لغرض تحسينها.

ومن وسائل التقييم المهمة التي تتبع في الجامعات العالمية هي ما يسمى بمراجعة اداء الاقران او تقييم الاقران. وتقييم الاقران هو شكل من اشكال التقييم لتوفير معلومات عن الاستاذ حول فعالية اساليب التعليم والتعلم المتبعة من قبل الاستاذ وهي وسيلة لمساعدة الاساتذة لتحسين طرقهم ولا تتعلق بالمستوى العلمي لمادة التدريس، وقد يكون هذا جزء من نظام المكافآت والعقوبات الرسمية للجامعة. وفي بعض الجامعات تستخدم نتائج عملية تقييم فعالية التدريس لغرض الترقية. بصورة عامة نظام تقييم الاقران هو عملية تعاون مع الاستاذ يقوم المقيم او عدد منهم بمناقشة الاستاذ قيد التقييم حول المواد التعليمية والمناهج الدراسية في جلسة عمل خاصة لهذا الغرض. وتقدم العملية وفرة من المعلومات حول مستوى تدريس الاستاذ. وتجمع النتائج مع تلك المتوفرة كتقييم الطلبة للاستاذ والتقييم الاداري والمعلومات المكتسبة حول اعمال الطلبة من تقارير ومواد مختبرية ومن التقييم الذاتي للاستاذ. معظم الجامعات اليوم تستخدم طريقة الملاحظة الصفية للاستاذ من قبل قرين ومزايا هذه العملية تكمن في زيادة الاحتكاك بين اعضاء هيئة التدريس ومناقشة الافكار الجديدة لغرض تحسين قدرة التدريس كما انها تساعد المدرس على التعرف على نقاط الضعف الا انها احيانا تحمل مشاكل التحيز من قبل المقيم لطرق تدريسه واساليبه. لذلك تشمل العملية عدد من الزيارات الصفية ومن قبل اكثر من مقيم، وفي بداية العملية يتم طرح اسئلة عامة لغرض التوصل الى اجابات شافية من خلال عملية التقييم منها: ما هو الهدف الاساسي للكورس؟ ما هي الاهداف العامة والخاصة للدرس تحت الملاحظة؟ ما هي الاساليب او الاستراتيجية التي يتبعها المدرس لايصال المعلومات للطلاب ومساعدته على فهم الموضوع؟ كيف يمكن للاستاذ معرفة فيما اذا كان الطالب قد فهم المادة؟ هل توجد مشاكل يمكن للمقيم من معرفتها؟

ومن خبرتي كمعيد سابق في جامعة بغداد واستاذ مساعد في جامعة بنغازي واستاذ في جامعة برمنغهام ومؤخرا استاذ في جامعة دبلن تعلمت قواعد اللعبة وتعرفت على اساليب التدريس وعلى الصفات التي يمتلكها المحاضر الجيد. دعني استعرض بعض آراء الطلبة في احدى الجامعات الغربية لتتعرف عن مدى علاقة هذه الآراء بالصفات الضرورية للاستاذ الجيد. يقول احد الطلبة انه من الضروري ان يكون الاستاذ قادرا على شد اهتمام الطالب خلال فترة المحاضرة. ويقول طالب اخر ان المحاضر الجيد يجب ان يقدم اساسيات المادة بصورة واضحة ويشجع الطلبة على تحري بقية المادة بانفسهم. وراي اخر يقول ان المحاضر الجيد يجب ان يكون قادرا على مساعدة الطلاب في اكتشاف الطرق التي يمكنهم فيها من استغلال افكارهم والتعلم المستمر بانفسهم. وطالب اخر يؤكد على ضرورة تشجيع الاستاذ للطلبة في الاعتماد على نفسهم في التعلم وتكوين المعارف اللازمة لنجاحهم في الحياة العملية. ويرى احد الطلاب ان المحاضر الجيد هو القادر على ترجمة الافكار الاكاديمية الى ممارسات عملية. وقول اخر يؤكد على اهمية نقل خبرة الاستاذ الجيد الى طلبته واشعال روح الاهتمام والتتبع والحماس عندهم. من هذه الآراء نرى ان جل اهتمام الطالب في الجامعات الغربية هو كسب معارف التعلم الذاتي والاعتماد على النفس، فليست لديه رغبة في تلقي المحاضرة بالتلقين، وهو يرى ان دور الاستاذ لا ينحصر في القاء المحاضرة، وان دوره كطالب لا ينحصر في الاستماع والتدوين واسترجاع المعلومات عند الامتحان، بل انه يرى حالة تفاعلية ايجابية من الارسل والاستقبال. وتؤكد الجامعات العالمية على اهمية خلق هذه

الحالة في داخل الصف من قبل الاستاذ وزيادة مسؤولية الطالب عن تعلمه وتنمية مهارات التفكير المبدع، ومهارات التفكير الناقد، ومهارات الحل المبدع للمشكلات. وتعمل الجامعات على تنفيذ هذه الاساليب عن طريق اعتماد طرائق التدريس الحديثة، واستراتيجيات التعلم القائم على حل المشكلات، واستراتيجيات التعلم التعاوني التفاعلي، على حسب طبيعة المادة التعليمية ومستويات الطلبة.

الاستاذ هو الركن الاساسي الذي تقوم عليه العملية التعليمية في الجامعات ويتحمل مسؤولية كبيرة في رفع اداءه التدريسي والاكاديمي وفي درء اخطار تراجع وتدهور العملية التعليمية في الجامعة. وتشمل صفات الاستاذ الجيد بصورة عامة من ناحية النوعية المستوى العالي لفهم المحاضرة ومعرفة العامة بموضوعها وله معلومات قيمة في الاختصاص وله القابلية على تمكين الطلبة من مواجهة المشاكل وايجاد حلول مختلفة، ويقدم بالاضافة الى اساسيات الموضوع التحديات التي يواجهها الباحثون في الموضوع ويعرض وجهة نظره. ومن ناحية الشخصية يتوفر في الاستاذ الناجح الهدوء والاتساق والمرونة والتكيف والحماس وحب الموضوع والعلاقة الحميمة بالطلاب. وتشمل صفات المدرس الناجح من ناحية طريقة التدريس اعتماده على طريقة مجربة يحاضر بها اعتياديا بدون تغيير ويعتمد في تركيب وتقديم محاضراته على تحقيق نواتج التعلم التي سبق كتابتها في المنهج وبعد تحديد المواضيع الضرورية وغير الضرورية التي تتضمنها المحاضرة. وللمحاضر ضرورة تحديد الهدف من المحاضرة قبل القاها، فهي اما لتحفيز الطلاب لغرض معرفة اهمية مادة المحاضرة ضمن مواضيع المنهج، او غرضها هو توصيل مجموعة من المعلومات التي لا يمكن الحصول عليها بسهولة، او انها لتعليم الطالب بعض المفاهيم والمبادئ العامة، او انها تمثل مراجع للامتحان والتقييم. فاذا كان غرض المحاضرة اثنين او اكثر من هذه الاهداف فينبغي ان تنضم بحيث يتم التعامل مع كل غرض على حدة وبالنتابع وبتوفير وقت كاف لتحقيق الاهداف. واخيرا فان المحاضر الجيد يدرس بعناية نتائج التعلم قبل اعداد المحاضرة ليجيب بصورة ملائمة على الاسئلة التالية: ماذا يريد هو من الطلبة ان يتعلموا؟ وما هي المفاهيم الاساسية التي تحتاج الى تفصيل ومعالجة؟ وما هي المهارات والكفاءات التي يجب على الطلبة الحصول عليها قبل ترك الصف؟

اخيرا اضع امام الطلبة السؤال التالي ارجو الاجابة عليه:

ما هي درجة ملائمة المحاضرات التي حضرتها مؤخرا مع ما تم ذكره اعلاه من مبادئ وافكار؟

واضع امام الاساتذة السؤال التالي ارجو الاجابة عليه:

هل استخدمت طرقا تدريسية او اساليب بصورة واعية او غير واعية كالتي ذكرت اعلاه في عرض محاضراتك؟